تأثير التضليل في الاستقطاب السياسي وثقة الناخبين في العصر الرقمي

(الولايات المتحدة الأمريكية أنموذجًا)

The impact of Disinformation on the Political Polarization and Voter trust in the Digital Age: USA as a model

الأستاذ المساعد الدكتور سعد عبد الحسين نعمة

Asst. Prof. Dr. Saad Abdul Hussein Naama

كلية العلوم السياسية /جامعة الكوفة

الاختصاص العام: العلوم السياسية

الاختصاص الدقيق: النظم السياسية والسياسات العامة

saada.alshemari@uokufa.edu.iq

الملخص

يُعَدُّ التضليل في العصر الرقمي، من أبرز التحديات التي تواجه النظم السياسية الديمقراطية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية. ويسعى هذا البحث إلى بيان تأثير المعلومات المُضللة، والأخبار الزائفة، في تعميق الانقسامات السياسية، والاجتماعية، داخل المجتمع الأمريكي، بوصفه بيئة مهيأة للاستقطاب المتزايد. كما يتناول البحث دور وسائل التواصل الاجتماعي، في تمكين الصحفيين، والمستخدمين، من تضخيم الأحداث السياسية، بطريقة تفضي إلى استقطاب أكبر، عن طريق توظيف المعلومات، والعواطف، لتوجيه الرأي العام نحو تبني مواقف أكثر تطرفًا. وتوصلنا في هذا البحث إلى أنَّ التضليل، يدفع باتجاه تبني مواقف مستقطبة، بصرف النظر عن الحقائق، مما يؤثر في ثقة المواطنين بنظامهم السياسي، وهذا الوضع أدى إلى تآكل الثقة بالمؤسسات العامة، وعمق الشكوك حول العلميات الانتخابية، بما يعكس مؤشرات واضحة عن تراجع المسار الديمقراطي في الولايات المتحدة الأمريكية.

الكلمات المفتاحية: التضليل الرقمي، الاستقطاب السياسي، ثقة الناخبين، وسائل التواصل الاجتماعي، الولايات المتحدة الامريكية.

Abstract

Disinformation in the digital age is considered one of the most prominent challenges facing democratic political systems, particularly in the United States of America. This research seeks to clarify the impact of misleading information and fake news on deepening political and social divisions within American society, describing it as an environment prone to increasing polarization . The study also addresses the role of social media and its users, including journalists, in amplifying political events in a way that leads to greater polarization by exploiting information and emotions to direct public opinion toward more extreme positions. The research concludes that disinformation drives individuals to adopt predetermined biased stances without critical thinking. This situation contributes to the erosion of trust in government institutions, influencing voters' confidence and deepening doubts regarding the integrity of electoral processes clear indicators of a retreat in the democratic path in the United States of America.

Keywords: Digital disinformation, political polarization, voter trust, social media, the United States

المقدمة

التضليل هو انتشار معلومات مزيفة، وخاطئة، لأجل التأثير في آراء الأفراد بشأن موضوع معين، وفي العصر الرقمي أصبح أكثر شيوعًا من ذي قبل، وكان يقتصر على وسائل الإعلام التقليدية بصورة محدودة، وحتى تأثيراته ليس بفاعليها في الوقت الحاضر. ومع انتشار الوسائل الاجتماعية للتواصل، أخذت المعلومات المضللة بالانتشار بسرعة كبيرة، لاسيَّما في السياقات السياسية، وأسهم بزيادة الاستقطاب السياسي الذي يهدد النسق الاجتماعي.

وأصبح التضليل أحد أبرز التحديات التي تواجه المجتمعات الديمقراطية، في العصر الرقمي الذي نعيشه اليوم، لدوره الكبير في تشكيل الرأي العام، وتوجيهه، مما يترك تأثيرًا مباشرًا في ثقة الناخبين.

وبقدر تعلق الأمر في الولايات المتحدة الأمريكية، يمكن معرفة كيف أنَّ المعلومات المضللة، بما في ذلك الأخبار الزائفة، والشائعات، تعمق الانقسامات السياسية، وتباين وجهات النظر، وزيادة الاستقطاب بين مؤيدي الحزبين الكبيرين، وإلى تغييرات ملحوظة في سلوك الناخبين، وعدم ثقتهم بالعمليات الانتخابية، وفي نظامهم الديمقراطي.

وعن طريق تناول هذه الموضوعات، نسعى في هذا البحث إلى فتح أفق جديد، لفهم العلاقة بين التضليل، والاستقطاب السياسي، في العصر الرقمي، وثقة المواطنين بنظامهم الديمقراطي.

أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في معرفة الآثار السلبية للتضليل في توجهات الناخبين، وكيف يسهم في زيادة الاستقطاب السياسي، والانقسام الاجتماعي، كما نسعى إلى تسليط الضوء على تأثير هذه الظاهرة، في حجم المشاركة السياسية، وفاعليتها، وفي مستقبل الديمقراطية في الولايات المتحدة الأمريكية.

كما تبرز هذه الأهمية في قلة الدراسات على المستوى العربي، والعراقي، بما يفتح الباب أمام الباحثين، والطلبة، في تناول حالات الاستقطاب في المجتمعات الأخرى، أو أي محور من محاور هذا البحث.

مشكلة البحث

تتمثل المشكلة الرئيسة للبحث، في فهم أنَّ العصر الرقمي وفَّر مزايا عديدة للمواطنين، على مستوى المعلومات، والاتصالات، إلا أنَّها أثرت فيهم بشكل كبير. وفي السياق الأمريكي أدى انتشار المعلومات المضللة، إلى خلق مجتمع مستقطب سياسيًا، وايديولوجيًا، مع وجود العوامل الأخرى التي أسهمت في ذلك. كما أثرت المعلومات المضللة في خيارات الناخبين، وثقتهم في الانتخابات، ونتائجها، ومجمل العمليات الديمقراطية. وبناءً على مشكلة البحث، نطرح التساؤلات الآتية، التي نحاول الإجابة عنها في ثنايا البحث:

١- كيف تسهم المعلومات المضللة، والأخبار الكاذبة، في زيادة الاستقطاب السياسي في المجتمع الأمريكي المستقطب أصلاً؟

٢- كيف أثر الاستقطاب السياسي في خيارات الناخبين، ومشاركتهم الفاعلة في مجمل العمليات السياسية؟

٣- ما نظرة المواطن الأمريكي لمستقبل الديمقراطية في بلاده، نتيجة انتشار المعلومات المضللة، وتزايد حدة الاستقطابات؟

فرضية البحث

إنَّ التضليل في العصر الرقمي يعزز الاستقطاب السياسي في المجتمع الأمريكي، ويخلق الانقسامات السياسية، والاجتماعية، ويؤثر في خيارات الناخبين سواء في الانتخابات، أو تجاه قضايا السياسة العامة الوطنية، ويعزز عدم الثقة في النظام السياسي، نتيجة تراجع في عملياته الديمقراطية.

منهجية البحث

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي، لما له من دور في وصف التضليل في العصر الرقمي، وتحليل أثره في الاستقطاب السياسي، وثقة الناخبين، عن طريق دراسة الحملات الانتخابية في الولايات المتحدة الأمريكية. كما اعتمدنا على مدخل التحليل النظمي. وسنركز في الحملات الرقمية، وانتشار الأخبار الكاذبة، والمضللة، واستخدام الخوارزميات، والتدخلات الخارجية، بوصفها المدخلات. أمَّا العمليات فتتمثل في تضخم المعلومات المضللة، والتركيز في توجهات سياسية تؤدي إلى زيادة الانتماءات للحزبين، وتطرف مواقفها. وسنركز في بحث المخرجات لهذا المدخل، على تصاعد حدة الاستقطاب السياسي، وتآكل الثقة بالعمليات السياسية لاسيَّما الانتخابات، ومخاطر تهدد الديمقراطية في الولايات المتحدة الأمريكية. وأخيرًا التغذية الراجعة وتتمثل بقياس ردود فعل المجتمع الأمريكي، عبر الدراسات، والاستطلاعات الأكاديمية، التي تركز في العمليات السياسية، أو انقسام أعمق، واستقطاب أشد، وكذلك استجابة الوسائل الاجتماعية من التحقق من المعلومات، أو حذف المزيف منها، والتشريعات التنظيمية للكونجرس، أو الجهات الرقابية.

هيكلية البحث

قُسّم البحث على ثلاثة مباحث، تناولنا في المبحث الأول إطار مفاهيمي لمصطلحات التضليل والاستقطاب السياسي، وعلاقة التأثير بينهما. وفي المبحث الثاني تناولنا علاقة التضليل في الاستقطاب السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية، وكيف أسهمت مواقع التواصل الاجتماعي في تركيز الظاهرتين. أمَّا المبحث الثالث فجاء في بحث أثر التضليل والاستقطاب في مجمل العمليات الانتخابية، والديمقراطية، في الولايات المتحدة الأمريكية.

المبحث الأول

ماهية التضليل الرقمي والاستقطاب السياسي

يتميز العصر الرقمي بوفرة المعلومات، وسهولة توليدها، ونشرها، ومن تجلياته تطور كبير في وسائل الاتصالات، وهو أمر حسن يصب في خدمة المجتمعات الإنسانية، لكن تزييف هذه المعلومات، وسهولة نشرها في الإعلام الرقمي، وسرعة وصولها، وانتشارها، يؤثر في فكر الأفراد، وتفكيرهم، وخياراتهم، ويجعلهم أكثر استقطاباً، لكن كيف ذلك. الأصل أنَّ الأفراد يكونوا على إطلاع على معلومات مختلفة في الإعلام الرقمي، لكن بفعل الخوارزميات، والروبوتات، فإنَّها توجه معلومات محددة للمتلقي، مما تجعل تفكيره باتجاه واحد، وفي أغلب الأحيان تضغط نحو تطرف هذا الاتجاه، وتولد انقسامًا حادًا في الاتجاهات، والمواقف السياسية، التي تؤدي إلى تفاقم الانقسامات الاجتماعية، وهذا ما سنحاول بحثه عبر المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم التضليل الرقمي

التطورات الكبيرة، والسريعة، في وسائل الاتصال، جاءت نتيجة ثورة المعلومات، والاتصالات، التي تقدمت بشكل هائل خلال القرن الحادي والعشرين، لاسيَّما بعد زيادة استخدام الإنترنيت، وما ارتبط به من أنشطة رقمية، وتحويل أنشطة المجتمع لاسيَّما الإعلامية، والمعلوماتية، من الأنشطة العادية الميكانيكية، إلى الأنشطة الرقمية، تركت آثارها في سلوك الأفراد، وفي علاقاتهم بعضهم ببعض، وفي طريقة تفكيرهم، حتى باتت تجليات الثورة الرقمية، ووسائل الاتصال، والتواصل، تؤثر في جميع جوانب الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية.

ونتيجة هذه الثورة برزت العديد من الايجابيات، وهي بلا أدنى شك تفوق السلبيات، وبقدر تعلق الأمر بالموضوع كان أحد تجلياتها التضليل في العصر الرقمي، الذي يؤثر في خيارات الأفراد والمؤسسات، وقراراتهم، بسبب سهولة توليد المعلومات، وكثرتها، وسرعة وصولها، وانتشارها.

يُعرِّف (فرانسو جيرية) التضليل بصورة عامة، بأنَّه: «مشروع منظم مخطط يهدف إلى تشوش الأذهان، والتأثير في العقل، والعواطف، والمخيلة، وليس له سوى هدف واحد، هو إدخال الشكوك، وخلق الاضطراب، وهدم المعنويات، ويستهدف التضليل جميع المستويات الرسمية، وغير الرسمية، والشعبية، كما يجعل وسائل الإعلام للنشر، وتعميم الرسالة التضليلية، باتجاه الرأي العام»[1]. وتُعرِّف المفوضية الأوربية التضليل في العصر الرقمي، بأنَّه: «معلومات كاذبة، أو مضللة، يتم إنشاؤها، وتقديمها، ونشرها، لخداع الجمهور، أو لتحقيق مكاسب سياسية، أو اقتصادية، أو اجتماعية.»[2] في حين تعرِّفه منظمة حلف شمال الأطلسي، بأنَّه» إنشاء معلومات كاذبة أو مزورة، ونشرها، بشكل متعمد بهدف الخداع.»ويرى (موقع فيسبوك التابع لشركة ميتا)، أنَّ المعلومات المضللة هي: « الأخبار الكاذبة، والمحتوى المتلاعب به، وما إلى ذلك لتحقيق هدف استراتيجي».يتبادر إلى الذهن أنَّ التضليل هو الكذب، وهذا الأخير هو نقيض الصدق، والواقع، والحقيقية، ولكي يحقق أهدافه لا يجب أن يكون

التضليل عكس الحقيقية، بل يجب أن يشمل جزءًا منها، ليخفي معالمه، ويحقق أهدافه. ففي بعض الأحيان يتم ابتداع الأشياء، وفي أحيان أخرى يجري الأمر بإخراجها عن سياقها، أو المبالغة فيها، أو حذف معلومات أساسية منها، ولا يمكن أن نتصور التضليل بأنَّه الشائعات، على الرغم من أنَّ المصطلحين يدلان على معلومات غير صحيحة، كونه أوسع منها، وهو متعمد ونشر الشائعات في مرات عديدة، يكون دون علم ناشرها بدقة المعلومات، أو من دون علم من قام بمشاركتها على موقعه الخاص.

ويمكن تعريفه بأنَّه: ظاهرة تهدف إلى نشر معلومات تحوز على جانب من الصحة، أمَّا الجانب الأكبر منها هو معلومات مزيفة، وكاذبة، بهدف التأثير في آراء الجمهور، عبر الوسائل الإعلامية، والرقمية، ومواقع التواصل الاجتماعي.

يمثل التضليل في العصر الرقمي، التحدي الجديد للنظم الديمقراطية، ويحاول إيهام الجمهور عن طريق نشر معلومات مزيفة أو كاذبة، مثل: نشر الأخبار المضللة، أو تعديل الصور، أو التلاعب بالفيديوهات، ونشر الاعلانات الممولة، للتأثير في الميول، وتغيير الاتجاهات، وجميعها تهدف إلى تشويش الرؤية، وتغيير المواقف، حسبما يريده صاحب فكرة التضليل. ومن أكثر الوسائل المستخدمة في وقتنا الحالي في التضليل، هي الفضائيات، ووسائل التواصل الاجتماعي، وهي أكثر فاعلية بسبب انتشارها بين فئات المجتمع، ومن السهل صنع هذه المعلومات المضللة، ونشرها. وهذا الأمر يؤدي إلى زيادة الاستقطاب السياسي، أو ربما يتطور الأمر إلى الانقسامات الاجتماعية.

المطلب الثاني: تعريف الاستقطاب السياسي

يمثل الاستقطاب السياسي هو الآخر، تحديًا جديدًا يضاف إلى تحديات الديمقراطية، والنظم الديمقراطية، لاسيَّما إذا ارتبط بالمعلومات المضللة، فإنَّه يغيّر من قناعات الأفراد، وآرائهم، بناءً على معلومات خاطئة، وهنا يؤدي الاستقطاب إلى تراجع الديمقراطية، وإنهاء الحوار السياسي قبل بدايته، أو وصوله إلى طريق مسدود مؤكد، وفقدان الحل للمشكلات السياسية، ومشكلات عدم الاستقرار السياسي.( )

ويحدث الاستقطاب السياسي عندما تنقسم آراء الناخبين، ومواقفهم، تجاه القضايا الاجتماعية، والسياسية، والسياسات العامة، والشخصيات السياسية، بشكل متباين لافت للنظر. وفي مرات معينة ينظر إلى الاستقطاب السياسي، بأنَّ كل معسكر أو طرف ينظر إلى الآخر، على أنَّه مهدد له، ولوجوده، وكيانه.

ويُعَرَّف الاستقطاب السياسي بأنَّه: «أداة سياسية مصممة لترسيم الحدود، بين (نحن) و(هم)، ولتحديد المجتمعات التي ينظر إليها، بوصفها أنظمة أخلاقية». ويجب على الجميع أن يختار إحدى هاتين المجموعتين (نحن أو هم)، ولا توجد منطقة وسطى أو رمادية، وأن ينظر إلى السياسة من وجهة نظرهم.

ويشير هذا التعريف إلى أنَّ الاستقطاب السياسي هو التضاد، فمثلاً الشمال والجنوب، والتضاد في المجال الكهربائي، فهناك السالب والموجب. ويُعرّف مركز بيو للأبحاث الاستقطاب السياسي، بأنَّه: «الفجوة، والتباعد، المتزايد بين الليبراليين، والمحافظين، والجمهوريين، والديمقراطيين»[٥]. نرى أنَّ هذا المفهوم للاستقطاب هو مفهوم شامل، يضم نوعي الاستقطاب الاجتماعي، والسياسي، سواء الأيديولوجي أو الجماهيري (العاطفي)، وهما السائدان في الوقت الحالي في الولايات المتحدة، ويتناميان فتره بعد أخرى بشكل متزايد، نتيجة عوامل تتعلق في بنية الأحزاب السياسية، وأخرى تتعلق بتطور الإعلام الرقمي.

كما يُعرَّف الاستقطاب السياسي، بأنَّه: «أحد الأوجه المعبرة عن التطرف السياسي، أو الثقافي، أو الديني، وهو يعكس فكرة البعد عن الاعتدال، والوسطية، وقد يكون صلب عملية التطرف أو أحد صورها، ويحدث الاستقطاب السياسي عندما تنقسم آراء الناس، ومواقفهم السياسية، بشدة حول قضية معينة، وينقسم المجتمع بشكل كبير تجاه المشكلات العامة، والقضايا السياسية العامة، وهنا يكون الاعتدال أول ضحايا الاستقطاب».[٦] أي تقسيم المجتمع إلى قسمين متناقضين، في وجهات النظر، والأهداف، والآراء، والمواقف، تستهدف عن طريقه القوى السياسية، كسب المؤيدين، وضم الأعضاء لها، مقابل القوى السياسية الأخرى.

ويشير هذا التعريف أيضًا، إلى الوضع الذي تصبح فيه آراء الناس، أو مواقفهم، حول قضية ما أكثر تطرفًا، وانقسامًا، مع عدم وجود اتفاق بين المجموعات المتعارضة، وهذا يمكن أن يؤدي إلى زيادة التوتر السياسي، والصراع، على الرغم من التحديات التي تواجه المؤسسات، والعمليات الديمقراطية.

ويكون الاستقطاب مدفوعًا بمجموعة متنوعة من العوامل، بما في ذلك الاختلافات في القيم، والمعتقدات، والمصالح، فضلاً عن الطريقة التي يتم بها هيكلة الأنظمة، والعمليات السياسية .لذلك إنَّ الاستقطاب السياسي هو صراع، لكن ليس صراعًا عنيفًا بل هو صراع سياسي. ويتفق هذا المفهوم مع نظرية الاستقطاب الجماعي، التي أطلقها كل من (بونستين وتاليس)، ونظرية أخرى هي نظرية الادراك الثقافي، التي أطلقها (كاهان) حول الاستقطاب السياسي، اللذان يركزان في آليات معرفية تدفع باتجاه الاستقطاب، الذي يرتبط بعوامل عاطفية، تدفع المواطنين إلى تكوين معتقدات سياسية، وتبنيها، بناءً على معلومات زائفة كما يمكن القول: إنَّ الاستقطاب السياسي هو تباين الآراء، والمواقف، للأفراد، والمجموعات، تجاه قضية معينة مثل الانتخابات، ولا ينحصر بالجانب السياسي، وتكون له آثار نفسية تتمثل في تفاعل الأفراد مع الكم الهائل من المعلومات، وتبادل الآراء حولها بشكل موسع في الإعلام الرقمي، مما يعزز الصراع، وانعدام الثقة، والانقسامات الحادة في المجتمعات.

المطلب الثالث: تحليل آليات التضليل وعلاقته بالاستقطاب السياسي في العصر الرقمي

الإعلام الرقمي أو الجديد ثورة معرفية هائلة، يوفر الكثير من المعلومات، وإنَّ إيجابيات هذا النوع تفوق سلبياته، وأبرز مضامين هذا الإعلام هي مواقع المدونات، وغرف الصدى، ومواقع التواصل الاجتماعي، التي أخذت حيزًا كبيرًا من حياة الأفراد، وتؤثر فيهم تأثيرًا كبيرًا، ويمكن معرفة هذا التأثير عن طريق عدد مستخدمي هذه الوسائل حول العالم، الذي وصل حوالي (٥) مليارات شخص، من أصل (٨) مليارات يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي، وهذا الانتشار الكبير لا بدَّ أن يترك أثرًا كبيرًا، في جوانب مختلفة من حياة الأفراد.

وبقدر تعلق الأمر بالتضليل، والاستقطاب السياسي، فإنَّ لوسائل التواصل الاجتماعي دورًا كبيرًا، في نشر كم هائل من المعلومات المضللة، والمزيفة، أو تغيير الحقائق، أو بتر المعلومات الأساسية عن تلك الحقائق، بقصد إيهام الرأي العام، أو تحقيق أهداف سياسية، أو اقتصادية، أو اجتماعية.

وتعمل المعلومات المضللة التي يتم نشرها على مواقع التواصل الاجتماعي، على زيادة الشكوك، وتحطيم المعنويات. وأهم آليات التضليل في وسائل التواصل الاجتماعي، هي الشائعات وهي الأكثر انتشارًا، وتأثيرًا في هذه المواقع، ثم فبركة الفيديوهات، والصور، وتعديلها، والأخبار، وقرصنة المواقع الإلكترونية، وتغيير محتواها، واستخدام التهويل، والمبالغة، وبتر الحقائق، أو الربط المزيف بينها. وساعد في عملية التضليل عبر هذه الوسائل، بطء التعامل، ومواجهة المعلومات المضللة، ودحضها، بعد أن تأخذ تأثيرها في المجتمع.

وبسبب انتشار التضليل على وسائل التواصل الاجتماعي، فإنَّها تسهم في زيادة الاستقطاب السياسي، والانقسام، ونقصان الحيادية في طرح الآراء السياسية، لاستغلالها من قبل الأحزاب السياسية، في محاولة كل طرف دحض نظرية، وجهد، الطرف الآخر، عن طريق نقل الوقائع، وصياغة الأحداث، وتكوين الآراء، بأسلوب يوائم أيديولوجيتها، ويحقق أهدافها، عبر وسائل عديدة، أهمها ضخّ معلومات واسعة مضللة، عبر حملات ممولة من المنشورات، والتغريد المدروس، لدعم موضوع معين، أو تيار، أو الوقوف ضده، مما تسهم في تكوين رأي عام، أو على الأقل التأثير في الرأي العام. والشكل في الأدنى يوضح العلاقة بين وسائل التواصل الاجتماعي، ونشر المعلومات المزيفة، وما تسهم من حدة الاستقطاب، والانقسام، في المجتمعات، مما تترك آثارًا في السياسات العامة.

مخطط (١) العلاقة بين وسائل التواصل الاجتماعي ونشر المعلومات المزيفة

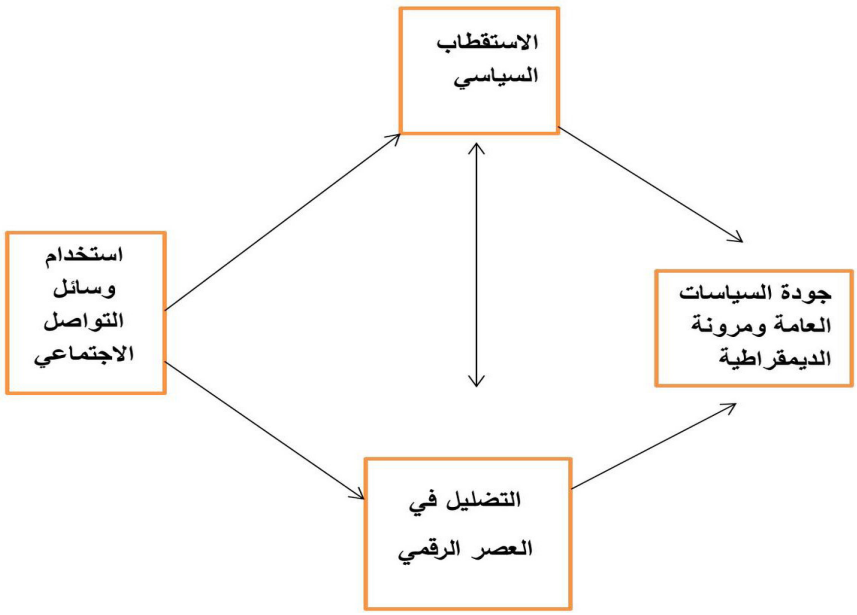

المصدر: Joshua A. et al, Social Media, Political Polarization, and Political Disinformation: A Review of the Scientific Literature, Hewlett Foundation, ٢٠١٨, p٤

يوضح المخطط (١) العلاقة بين دور وسائل التواصل الاجتماعي، ومدى انشار الشائعات، والمعلومات المظللة، وما لها من التأثير في فهم المجتمع لقضاياه العامة، والسياسية، وما سوف يرتبط بها من اصطفاف، وانقسام، بشكل مستقطب يهدد جودة السياسات، والعمليات الديمقراطية داخل المجتمع، ويظهر هذا الأمر بشكل جلي في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ ينقسم الشعب الأمريكي، تجاه القضايا التي يتبناها أي من الحزبين الجمهوري، والديمقراطي.

ونجد هذا الأمر بشكل واضح في الأحداث الانتخابية، في الدول الديمقراطية ذات الثقافة السياسية المشاركة، مثلاً نجد دور وسائل التواصل الاجتماعي حاضرة، في الاستقطاب السياسي في الانتخابات الأمريكية عام (٢٠١٦)، وفي انتخابات عام (٢٠٢٠)، وحتى في عام (٢٠٢٤)، وكذلك كان لموقع (تويتر) دور في فوز الرئيس الأمريكي الأسبق (باراك اوباما)، بعد زيادة عدد متابعيه، وقد قال في خطابه: «نحن أمة من الفيسبوك، وغوغل» وكذلك دورها في التأثير في نتائج الانتخابات الفرنسية، عبر ضخ كم هائل من المعلومات المضللة، مما دفع بالحكومة الفرنسية إلى إغلاق العديد من حسابات المستخدمين.

ويمكن لوسائل التواصل الاجتماعي أن تركز الاستقطاب السياسي، عن طريق «غرف الصدى»(**Echo Chamber**)، ويتجسد عملها في سهولة تواصل الأفراد، والتعبير عمَّا في داخلهم من أفكار، وآراء، وعن طريقها يلتقي الأفراد ذات التوجهات المتشابهة، بما يمثل صدى للآخر، وطرح المعلومات التي تلائم توجهاتهم، وتلقيها، عن طريق خوارزميات تقترح المحتوى نفسه، وينتهون ببناء وجهات نظر، ومواقف مستقطبة أكثر انسجامًا، وأكثر تطرفًا، عمَّا كانوا عليه في السابق[(١)].

ويكون عملها في اتساع الاستقطاب، وزيادته، عن طريق اقتراح الاشخاص الذين يؤمنون بالأفكار، والآراء، ذاتها، ويفكرون بالطريقة نفسها، ويبحثون عن المعلومات عينها، وهذا الأمر يدخل فيه الذكاء الاصطناعي بشكل كبير، عن طريق الخوارزميات التي يقدمها بطريقة انتقائية، بتقديمه تلك المعلومات، ويترك المعلومات الأخرى المتناقضة من الأفكار، والآراء، بحيث تجعل الفرد يؤمن بتلك الأفكار بطريقة مطلقة، وربما يكون أسيرًا لها، ويجد صعوبة في التخلي عنها.

وتُعَدّ المدونات هي الأخرى أداة للاستقطاب السياسي، عن طريق تقديمها للقراء أفكارًا، ومعلومات، منحازة، وترسيخ القيم السياسية، والحزبية، بواسطة ما ينشر عليها من مقالات، وأفكار، تعمل على خلق رأي جماعي تجاه حزب، أو مرشح معين، أو قضية معينة.

وبذلك تؤثر الوسائل الاجتماعية الإلكترونية، في الاستقطاب السياسي، عبر نشر المعلومات، والأفكار، التي تسهم في تعصب الأفراد باتجاه معين، مما ينعكس في زيادة الانقسامات، سواء أكانت سياسية، أو اجتماعية، أو ثقافية، أو دينية، وزيادة الاستقطاب في الآراء، وتراجع حيادة النقاش. وتبرز ظاهرة التعزيز الذاتي، عن طريق تعرض الأفراد لمحتوى يتفق مع توجهاتهم السياسية، ويؤدي هذا الأمر إلى دعم الانتماءات السياسية، والتعصب لها، وتفاقم الاستقطاب.

والامر نفسه بالنسبة إلى (غرف الصدى)، في دورها في تفاقم الاستقطاب السياسي، لكونها بيئة آمنة لتبادل الأفكار، والمعلومات، ذات النسق الواحد، من دون التعرض، ومعرفة، لوجهات النظر الأخرى، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة الفجوة بين الأفراد المخالفين للرأي. فضلًا عن أنَّها تعمل على تجنب التكرار، وتحدي الثوابت، مما يعرض الأفراد لمعلومات، وأفكار جديدة، لكن تخدم هدف الموضوع المستقطب.

المبحث الثاني

و اقع التضليل والاستقطاب السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية

الولايات المتحدة الأمريكية بلد ديمقراطي متطور، يسمح بحرية الرأي، والتعبير، في الإعلام، وفي منصات التواصل الاجتماعي، كبقية البلدان الديمقراطية الأخرى. وتطور الإعلام الرقمي وفَّر كمًا هائلًا من المعلومات للناخبين، ولإدارة الحملات الانتخابية، لكن أستغل هذا الأمر بصورة خاطئة، أثرت في خيارات الناخب تارة، وجعلت منه مواطنًا أو سياسيًا أكثر استقطابًا تارة أخرى، وتزامن هذا الأمر في

(١) Rune Karlsen et al, "Echo Chamber and trench warfare dynamics in debates," European Journal of Communication, volume, (32), number,(3), 2017,P 257

وجود العوامل التاريخية المشجعة على الاستقطاب السياسي، لاسيَّما أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية، هي أكثر البلدان تعرضًا للاستقطاب السياسي، بسبب طبيعة الحياة السياسية، والحزبية. وهذا ما سنتناوله عبر المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: دور التضليل في زيادة الاستقطاب السياسي

تضمّ الولايات المتحدة الأمريكية حزبين سياسيين رئيسين، هما الحزب الجمهوري، والحزب الديمقراطي، وفي أوائل تسعينيات القرن العشرين، كانت أجندات الحزبين السياسية متشابهة إلى حدٍّ كبير، مقارنة بما هي عليه في الوقت الحالي، وكان هناك تنوع أكبر في الآراء داخل كل حزب، وعلى مدى السنوات الثلاثين الماضية. تحرك الحزب الديمقراطي أكثر نحو «اليسار»، في حين تحرك الحزب الجمهوري أكثر نحو «اليمين»، ونتيجة لذلك، تضاءل التداخل الإيديولوجي بين الحزبين.

وفي وقتنا الحالي، يمثل (٩٢٪) من الجمهوريين على يمين الديمقراطي، ويمثل (٩٤٪) من الديمقراطيين على يسار الجمهوري، ويعتقد أغلب هؤلاء المتعصبين الحزبيين، أنَّ سياسات الحزب المعارض «مضللة»، إلى الحد الذي يهدد رفاهة الشعب الأمريكي[٢]. ويذكر الرئيس الأمريكي الأسبق (باراك اوباما)، في مؤتمر صحفي عام (٢٠١٠): «أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية بلد تأسس على التسوية.» ويرى (غوتمان وطومسون) «أنَّ حكم أي ديمقراطية دون تسوية أمر مستحيل»، لذلك إنَّ التسوية هي أساس الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية، وإنَّ الاستقطاب السياسي واضح على مستوى النخب، والجماهير، والايديولوجيات. لا بل نستطيع القول: إنَّ أمريكا بلد مستقطب سياسيًا، ويظهر الانقسام بشكل واضح في المنافسة السياسية بين الحزبين الجمهوري، والديمقراطي، حول موضوعات الاقتصاد، وتغيُّر المناخ، والعدالة الاجتماعية، والسياسية، الخارجية، والمهاجرين، والاجهاض، ودور الدين. وغيرها من القضايا الأخرى، كما لا يقتصر الاستقطاب على هذه الموضوعات، بل وصل إلى القيم الأساسية الأمريكية.

ويوضح (كلاين) في كتابه «لماذا نحن مستقطبون»، الذي يرى فيه أنَّ الانقسامات الحزبية، تزايدت بمرور الوقت، وأصبحت الهويات الاجتماعية للأفراد، متشابكة مع هوياتهم السياسية، ويرى أيضًا أنَّ آراء الناس أصبحت أكثر تطرفًا، فالجمهوريون يميلون إلى تبني سياسات محافظة أكثر تطرفاً، والديمقراطيون يدفعون نحو سياسات ليبرالية أكثر تطرفًا، وأنَّ وجهات النظر لهما أصبحت أكثر تطرفًا، منذ أي وقت مضى. كما أنَّ الناخبين الأمريكيين، وممثليهم السياسيين، يرزحون في معسكرات ايديولوجية.[٣]

أمَّا (أندرو أودونوهو) فيؤكد في كتابه (المسار الطويل للاستقطاب في الولايات المتحدة)، أنَّ «المحاذاة القوية للأيديولوجية، والعرق، والدين، تجعل انقسامات أمريكا شاملة، وعميقة، بشكل غير عادي، ومن الصعب العثور على مثال آخر للاستقطاب في العالم، يعاني من انقسامات الهوية بطريقة مماثلة»[٤].

(٢) Pew research center, Political Polarization, op cit

(٣) Steven McMullen, Why we are polarized, https://reformedjournal.com/2021/04/28/why-were-polarized/

(٤) Thomas Carothers Andrew O'Donohue, Democracies Divided, The Global Challenge of Political Polarization, Brookings Institution Press, Washington, D.C, 2019, P56 .

ويظهر الاستقطاب السياسي في السياسية الأمريكية، عبر الأحزاب السياسية داخل الكونجرس، على شكل صراع حزبي، وبشكل متصاعد منذ سبعينيات القرن الماضي، وداخل الكونجرس الأمريكي يصوت في الوقت الراهن(٪ ٩٠) من الحزب الأول، مقابل (٪ ٩٠) من الحزب الآخر، عندما يحدث الصراع، ويظهر كل من النواب، وأعضاء مجلس الشيوخ، ولاءهم لأحزابهم، أكثر بكثير عمَّا كانوا عليه قبل هذه المدة[٥].

ولم يقتصر الأمر في الاستقطاب على مستوى النخبة، بل هناك استقطاب على مستوى الجماهير (الاستقطاب الجماهيري أو العاطفي)، وهو أقل حدة من النوع الأول في مواقف معينة محددة، ويمكن فهمه عند تحليل آراء الناخب الأمريكي، لكن هناك دراسات تشير إلى أنَّ المواطنين الأمريكيين بشكل عام، غير متأكدين، ومتناقضين، وأنَّهم أكثر ميلاً لاتخاذ مواقف معينة من المواقف المتطرفة، وأنَّهم يجمعون بين المواقف المحافظة، والليبرالية، بشأن قضايا مختلفة[٦]، لكنَّ المواطنين بصورة عامة يشعرون بسلبية تجاه الأحزاب الأخرى، مقارنة بأحزابهم سواء كانوا أعضاءً، أو مؤيدين، وهو أمر مختلف، واستثنائي، عن بقية الدول الديمقراطية الأخرى.

نشرت جامعة براون دراسة في عام (٢٠٢٠)، توصلت إلى أنَّ الاستقطاب السياسي بين الأمريكيين، تزايد بسرعة كبيرة في السنوات الأربعين الأخيرة، أكثر من بقية الديمقراطيات الأخرى، سواء في شمال أمريكا، أو دول أوربا، ويرجع سبب ذلك إلى الأحزاب السياسية، التي أصبحت أكثر انحيازًا إلى أيدولوجيات، وأعراق، وهويات دينية مختلفة. على سبيل المثال أصبح الجمهوريون أكثر ميلاً إلى التدين، في حين أصبح الديمقراطيون أكثر علمانية، وكذلك تُرجح الدراسة سبب زيادة الاستقطاب، إلى زيادة الانقسام العنصري، وظهور القنوات الإخبارية الحزبية. والسبب المهم هو انتشار الإنترنيت بشكل عام، ولاسيَّما وسائل التواصل الاجتماعي، زادت من الاستقطاب السياسي، والعاطفي، في الولايات المتحدة الأمريكية، لاسيَّما إذا ما اقترنت بأخبار مُضللة.[٧] ويمكن إجمال عدة عوامل أسهمت في تنامي الاستقطاب السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية، هي:

أولاً- التحولات السياسية التاريخية في أيديولوجية الأحزاب السياسية، مثل تحول تمثيل الأحزاب، من تمثيل مصالح طبقات اجتماعية معينة، إلى تمثيل قضايا أيديولوجية.

ثانيًا- الاختلافات الايديولوجية المتباينة، بعد أن كانت الأحزاب الأمريكية في الماضي متجانسة أيديولوجيًا، وكان هنالك تداخل، أصبحت في الوقت الحاضر تحمل توجهات متباينة، فنجد الديمقراطيين يركزون في القضايا الاجتماعية، والاقتصادية الليبرالية، مثل: العدالة الاجتماعية، والرعاية الصحية، وغيرها، في حين يركز الجمهوريون في القيم المحافظة، مثل: تقوية الدولة القومية، وتقليص الضرائب، وغيرها من المسائل الأخلاقية الاجتماعية.

---

(٥) Frances E. Lee, How Party Polarization Affects Governance, Annual Review of political Science, volume (18), 2015,p262

(٦) Delia Bladassarri and Andrew Gelman, Partisans without Constraint: Political Polarization and Trends in American Public Opinion, The American Journal of Sociology, AJS. 2008,p8.

(٧) Jesse Shapiro, U.S. is polarizing faster than other democracies, study finds: https://www.brown.edu

ثالثًا- التنافس الانتخابي الحاد مع التركيز على الأعضاء، والمؤيدين للحزب، ودفعهم إلى تبني مواقف متطرفة، لتشجيع القواعد الانتخابية نحو التطرف (نحن) في مقابل الآخر (هم).

رابعًا- دور الإعلام في العصر الرقمي، عبر المنصات الاجتماعية التي تنشط عليها المعلومات المُظللة، والأخبار الزائفة، بتدخل الروبوتات، والخوارزميات، عززت من المحتوى الذي يثير التفاعل، والعاطفة، مما يزيد الاستقطاب السياسي، والعاطفي.

خامسًا- ايضاً تسهم وسائل الإعلام الحزبية، في تعزيز القوالب النمطية، وتعميق الانقسامات، مع ميل الجمهور إلى استهلاك الأخبار من مصدر يتوافق مع آرائهم، مما يعزز الاستقطاب.

سادسًا- التحولات الاجتماعية، والثقافية، سبب في تنامي الاستقطاب، كالتنوع الثقافي، والعرقي، ويرى بعض الأفراد أنَّ هذا التحول تهديد لقيمهم التقليدية، وهويتهم الثقافية، مما يسهم في تعزيز الاستقطاب بينهم، وبين الآخر المختلف، لاسيَّما إذا تعلق الأمر بالمهاجرين.

سابعًا- العوامل الاقتصادية، مثل: عدم المساواة، والفقر، تسهم في تعزيز الاستقطاب. والشعور بأنَّ النظام الاقتصادي لا يخدم الجميع، مما يدفع الأفراد إلى اتخاذ مواقف أكثر تطرفًا.

إنَّ وسائل الإعلام بصورة عامة في الولايات المتحدة الأمريكية، زادت من حدة الاستقطاب السياسي، وكلما زادت متابعة الأفراد لوسائل الإعلام السياسية، أصبح منظورهم للجانب الآخر على أنَّه على خطأ، لأنَّ وسائل الإعلام الحزبية تركز في الاختلافات، بدل العوامل، والقواسم المشتركة.

وتذكر جميع الدراسات أنَّ وسائل الإعلام التقليدية، تؤثر في الناخبين، وآرائهم، ومواقفهم، عن طريق توليد معلومات مُضللة، والتي تزيد الاستقطاب السياسي، لكن تبقى طبيعة عملها باتجاه واحد (النسخ النازل). إلا أنَّ الهاجس يكون أكبر أمام وسائل التواصل الاجتماعي (الإعلام الرقمي)، لأنَّها ثنائية الاتجاه، وشمولية التأثير، إذ يكون للشخص حرية إنتاج المحتوى الذي يمكن أن يكون غير دقيق، ومشاركته، فيصل إلى الجمهور على الفور. وبالفعل أسهمت الروبوتات، والخوارزميات، بتوفير كم هائل من المعلومات المضللة، والتغريد، في انتخابات عام (٢٠١٦) وما تلاها، أدت إلى تفاقم الاستقطاب السياسي في الولايات المتحدة.

المطلب الثاني: دور وسائل التواصل الاجتماعي في تنامي التضليل والاستقطاب السياسي

تنامى الاستقطاب السياسي ليس فقط في الولايات المتحدة الأمريكية، بل في كل دول العالم، ونجد هذا الاستقطاب على مستوى السياسة، وعلى مستوى الهوية، وعلى مستوى الأيديولوجية، كما أنَّ أغلب الناس العاديين مستقطبون، وهو ما يقود إلى ثلاث نتائج حتمية، الأولى هي سياسية تتمثل في زيادة الرغبة في المشاركة بالسلطة، والثانية هي اجتماعية تتمثل بزيادة الانقسامات الاجتماعية، والثالثة سياسية اجتماعية تتمثل في زيادة تركيز السلطة، وجمودها.

ونتيجة لزيادة الدراسات في مجالات العلوم السياسية، وعلم الاجتماع، والحاسوب، والعلوم الأخرى عن الإنترنيت، والخوارزميات، بشكل عام ولاسيَّما وسائل التواصل الاجتماعي، لغرض قياس اتجاهات الرأي العام، والتنبؤ بنتائج الانتخابات، عن طريق حجم الإعجاب، والمشاركات، والتعليقات، وإعادة التغريدات، وعدد مرات ذكر اسم المرشح. إلا أنَّ هذه العملية تعوقها مسألة مهمة، هي ضخامة المعلومات، وعدم دقتها، وفي أغلب الأحيان تأتي النتائج متحيزة، ومشوهة، بسبب أنَّ البيانات يتم إنتاجها بشكل مصطنع، بواسطة روبوتات مواقع التواصل الاجتماعي. ويظهر هذا الأمر بشكل واضح في الانتخابات الرئاسية الأمريكية لعام (٢٠١٦)، التي شهدت الانتشار الهائل للأخبار المفبركة، تحت مسمى «حملات التضليل والدعاية الإلكترونية والقرصنة المعرفية وحرب المعلومات عبر الإنترنت». ونشر الأخبار المزيفة كالمقالات الإخبارية، عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ويتم الترويج لهذه المقالات بطريقة تجعلها تبدو وكأنها منتشرة من قبل مستخدمين آخرين، على عكس كونها إعلانات مدفوعة الأجر. وتمَّ تصميم القصص الإخبارية للتأثير في آراء المستخدمين، أو التلاعب بها، فقد جعلت وسائل التواصل الاجتماعي انتشار الأفكار، أسرع، وأكثر قابلية للتطوير، مما يجعل من السهل على المواد الدعائية، الوصول إلى مجموعة أوسع من الناس، مقارنة بالطرق التقليدية، ويصعب اكتشاف المزيف منها، مما يشكل تحديًا لمستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي، والمشرفين، والوكالات، والمؤسسات الحكومية، التي تحاول التحكم في انتشارها.[٨]

وقد وجدت دراسة أجراها مركز بيو للأبحاث، في كانون الأول (٢٠١٦)، أنَّ «نحو اثنين من كل ثلاثة بالغين في الولايات المتحدة، أي ما نسبته (٦٤٪)، يقولون إنَّ القصص الإخبارية الملفقة تسببت بقدر كبير من الارتباك، حول الحقائق الأساسية للقضايا، والأحداث الجارية». فضلًا عن ذلك، يعترف (٢٣٪) منهم بمشاركة قصة إخبارية ملفقة (عن علم أو بغير علم)، على وسائل التواصل الاجتماعي.[٩]

وعلى الرغم من أنَّ تقرير (مولر)، الذي سنتناوله لاحقًا، وضَّح عدم التلاعب بالأنظمة الانتخابية، لكنَّه لم ينفِ التدخل الروسي بشكل مطلق في التأثير في الانتخابات، وأكده في انتخابات عام (٢٠١٦) عبر روبوتات وسائل التواصل الاجتماعي الأجنبية، التي كانت تنشر معلومات مضللة للجمهور الأمريكي، مما أدى إلى تفاقم انتشار الاستقطاب السياسي في الولايات المتحدة.[١٠]

وتعمل وسائل التواصل الاجتماعي على تفاقم انتشار المعلومات المُضللة، وزيادة حده الاستقطاب في الولايات المتحدة، سواء عن طريق الصحفيين عبر تغطيتهم للأحداث السياسية بطريقة أكثر استقطابًا، ويخلقون واقعًا سياسيًا أكثر استقطابًا، أو عن طريق الخوارزميات، والروبوتات، التي تمارس دورًا في نشر المعلومات المُضللة، والسماح للجمهور بمشاركة الأنشطة في إنشاء الروايات التي تشكل الحقائق، وتضخيمها، بشكل انتقائي. وقد اتخذت وسائل التواصل الاجتماعي، مثل (تويتر) بعد انتخابات (٢٠١٦)،

(٨) Marina Azzimonti and Marcos Fernandes, Social media networks, fake news, and polarization, European Journal of Economy, volume(76), January 2023, P2

(٩) Pew research center, Political Polarization, op cit

(١٠) Robert S. Mueller, "Report on the investigation into Russian interference in the 2016 presidential election," US Department of Justice, March 2019: https://www.justice.gov/storage/report.pdf

تدابير للحد من هذه الظاهرة، مثل حظر امتيازات النشر لبعض المستخدمين. ومع ذلك لم يتوقف الأمر بل استمرت الروبوتات في مشاركة الأخبار المزيفة، والمعلومات المضللة، مما يعني استمرار تقسيم الأمريكيين، وإذا ما ازدادت حدة الاستقطاب بين الأفراد، فإنَّ النخب السياسية، والإعلامية، سوف تستمر في تأجيج الانقسام، وعلى الرغم من أنَّ الخلاف الحزبي يشكّل جزءًا أساسيًا من العملية السياسية، فإنَّ «الاستقطاب والعداء مستمر وبشكل تصاعدي.»[١١]

وتسهم «غرف الصدى»، أو «فقاعات التصفية»[١٢]، داخل وسائل التواصل الأمريكية، في زيادة حدة الاستقطاب السياسي، عن طريق المناورة في آلية عملها، التي تعمل على ملفات تعريف المستخدمين، لتضييق المعلومات التي يرونها من الاتجاه المختلف فكريًا، في حين تزيد من كم المعلومات، ونوعها، وتنوعها، والتي تتطابق مع اهتماماتهم، وأيدولوجيتهم، وهذا الأمر لا يقتصر على أمريكا، فنجدها تعمل الشيء نفسه مع جميع المستخدمين في كل دول العالم، لكن في مجتمع يمتاز بالاستقطاب، فإنَّها تزيد منه، وتدفع باتجاه التمسك بالآراء، والمساندة، والدعم السياسي، والتصويت، والمشاركة الفاعلة.

وعلى الرغم من أنَّنا نؤيد وجهة نظر مفادها: أنَّ وسائل التواصل الاجتماعي لا تزيد من الاستقطاب، كونها وسائل اجتماعية، وتطلعنا على أفكار، وآراء مختلفة، من المفترض أن تؤدي إلى التقليل من الاستقطاب، أو على الأقل لا تجعله يصل إلى مرحلة تهدد النسيج الاجتماعي. وفي الواقع يمكن أن تزيد من التسامح السياسي، عن طريق السماح للمستخدمين بالتفاعل، مع أولئك الذين يحملون آراء سياسية مختلفة، والتعلم منهم، ولأنَّها تسهل التفاعلات بين الأفراد ذوي الروابط الضعيفة، والذين يحملون وجهات نظر سياسية أكثر تنوعًا، من أولئك الموجودين في شبكات الفرد الأساسية، فإنَّ استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، يمكن أن يزيد في الواقع من الاعتدال السياسي بدلاً من التطرف.»[١٣]

ونرى أنَّ هذه النتيجة ربما تنطبق على قله قليلة، وصلت من العلم، والثقافة، والتجارب السياسية، مرحلة متقدمة، وعلى الرغم من أنَّها وسائل اجتماعية، لكن آليات عملها، وتوجيهها للمعلومات، و«المنشورات، والتغريدادت»، ويصل الأمر إلى فبركة مقاطع فيديو، وتعديل الصور، وإعادة نشرها عبر مدونين، أو عبر الذكاء الاصطناعي، كانت حاضرة في العديد من قضايا الاستقطاب، وتهديد النسيج الاجتماعي، وأنَّها حاضرة في العديد من أعمال العنف، وفي العديد من الثورات الشعبية، مما يعزز نتيجة دورها في الاستقطاب.

---

(١١) Flavia roscini, . How The American Media Landscape is polarizing the country, the pardee Atlas Journal of Global Affairs: https://sites.bu.edu/pardeeatlas

(١٢) غرف الصدى وفقاعات التصفية: هي حالة من العزلة في ظل نظام يركز في التوجهات الايديولوجية المتشابهة، والمتقاربة، عن طريق استخدام الخوارزميات، لتحليل سلوكيات البشر على مواقع التواصل الاجتماعي، بالاعتماد على سجل البحث، والاعجاب، والنقرات، والمشاركة، والموقع، وغيرها من البيانات، لتقدم معلومات تتوافق مع توجهات الاشخاص، ومعتقداتهم، وحجب ما عداها من معلومات عن المختلف الآخر، الأمر الذي يؤدي إلى ضيق الأفق، والعزلة الفكرية، مما يركز الاستقطاب. ونستطيع القول بصورة مبسطة هي عملية نشر محتوى يتوافق مع توجهات الأشخاص.

(١٣) Christopher A.Bail, et al.: Exposure to opposing views on social media can increase political polarization, PNAS. Volume(115), number (37), 2018,p9219

أمَّا بالنسبة إلى الذكاء الاصطناعي، فبقدر استخدامها بالمساعدة على نشر معلومات مُضللة، يمكن الاستفادة منها، وبقدر أكبر في كشف هذه المعلومات، وتحجيمها، على وسائل التواصل الاجتماعي، عن طريق استخدام تقنيات تحليل المحتوى، والكشف عن الصور، ومقاطع الفيديو المعدلة، والتأكد من صحة الحقائق، كما يمكن استخدام أدوات، مثل: (**Ask FactCheck**) و(**Ask SciCheck**) لتسريع عملية تدقيق المعلومات، كونها تملك من السرعة، والدقة، في التحليل، والتحقق من المعلومات، ومصادرها.

المبحث الثالث

أثر التضليل في الاستقطاب السياسي وثقة الناخبين في الولايات المتحدة الأمريكية

تميز العصر الرقمي بوجود برامج الذكاء الاصطناعي، ودقة عملها، الذي من المفترض أن ينعكس بصورة إيجابيه على الناخبين، وتحسين خياراتهم، وعلى العمليات الانتخابية، وعلى الحياة الديمقراطية، لكن على الرغم من تطور الولايات المتحدة الأمريكية في الجوانب التقنية، فهناك تفاعل وانتشار للمعلومات المزيفة، التي تسببت بالانقسامات السياسية، وولدت آثارًا على حجم المشاركة السياسية، وفاعليتها، وزيادة قلق الناخبين من مجمل العمليات الانتخابية، مما خلق شعورًا عامًا لدى المواطنين الأمريكيين، بتآكل ديمقراطيتهم، أو تراجعها، وهذا ما سنبحثه بشكل مفصل عبر المطالب الآتية:

المطلب الأول: أثر التضليل والاستقطاب السياسي في المشاركة السياسية

يعتمد النظام السياسي الديمقراطي على التصويت، وعن طريقه تكتسب السلطة السياسية شرعيتها، وتكون أعمال الحكومة مشروعة في فرض الالزام، والإكراه في تنفيذ سياساتها العامة، ويُعَدّ التصويت المستوى الأهم من مستويات المشاركة السياسية، وهذا المفهوم الأخير واسع جدًا، ويشمل أغلب العمليات السياسية. وحتى يكون التصويت صحيحًا، لا بدَّ للناخب أن يعرف جميع المعلومات عن مرشحيه، بقدر عالٍ من الشفافية، وبدون هذه المعلومات الصحيحة، يمكن أن تقل نسب المشاركة السياسية في الانتخابات، أو زيادة المشاركة في الانتخابات، وصنع القرارات السياسية، بناءً على معلومات خاطئة، وتؤدي إلى نتائج عكسية، تؤثر في خيارات الناخبين، وقراراتهم، لاسيَّما إذا كانت الانتخابات رئاسية.

ونلاحظ في الولايات المتحدة الامريكية، أنَّ المعلومات المُضللة عن (هيلاري كلنتون)، التي أطلقها (ترامب) مثل (هيلاري المحتالة)، أسهمت في تفاعل كبير، وانتشرت بين أوساط الشعب الأمريكي بسرعة كبيرة، وكان لها الدور الحاسم في الاستقطاب السياسي لصالح الجمهوريين، لأنَّها أثرت في ميول الناخبين غير الحاسمين، وصوتوا لصالحه، وبذلك فإنَّ المعلومات المضللة، أسهمت في الاستقطاب السياسي، وبحجم المشاركة السياسية، ومضمونها، لصالح الحزب الجمهوري.((١٤))

(١٤) Chrysalis Wright, How Fake News Affects U.S. Elections: https://www.ucf.edu/

تشير دراسات الاستقطاب إلى أنَّه عملية خطابية بدأها رجال الأعمال السياسيين، لتفعيل الانقسامات الاجتماعية، من أجل تحقيق أهداف سياسية. هذه الجهات الفاعلة تستخدم خطابًا مستقطبًا منقسمًا، لخلق تصور للسياسة على أنَّها تقوم على صراع «**نحن ضد هم**»، وبذلك تخلق أو تقوض التحالفات السياسية. ويعمل هذا الخطاب على رفع الضوء، وتسليطه، على انقسام اجتماعي معين، وتحديد المجموعات الداخلية، والخارجية، ذات الصلة حول هويات اجتماعية معينة (حزبية، ودينية، وعرقية، وثقافية... إلخ).

والنتيجة هي أنَّ هذه المجموعات، ينظر إليها على أنَّها غير متوافقة، ولا يمكن التوفيق بينها. على سبيل المثال، فإنَّ خطابًا مثل «المكسيكيون مغتصبون»، أو «الديمقراطيون شيوعيون»، يشوه سمعة الحزب المعارض من حيث العرق، والأيديولوجية، في حين تعمل الادعاءات بأنَّ «وسائل الإعلام عدو الشعب»، على تقويض فكرة المعارضة المشروعة، وبدلاً من ذلك، تخلق تصريحات مثل «نحن الأميركيون الحقيقيون»، و»لنجعل أميركا عظيمة مرة أخرى»، تصورًا لدى الجماهير بماضٍ أكثر تجانسًا عرقيًا ودينيًا، والنتيجة هي زيادة اصطفاف الانقسامات الاجتماعية داخل معسكرات متجانسة، ومتعارضة، وإدراك أنَّ السياسة تعادل صراع «نحن ضد هم».((١٥))

كان الاستقطاب في الولايات المتحدة الأمريكية، مدفوعًا بشكل غير متناسب من قبل الحزب الجمهوري، الذي اتخذ مواقف أكثر تطرفًا بشأن القضايا، وهو أقل استعدادًا للتنازل، وينخرط في المزيد من العرقلة، وكسر القواعد الديمقراطية، وينطبق الأمر نفسه على وسائل الإعلام اليمينية، التي تنتج محتوى أكثر حزبية صراحة، وأنَّ عاملين غالبًا ما يتم تسليط الضوء عليهما، لتفسير هذا السلوك الاستقطابي المتزايد، وهما: التغيُّرات الديموغرافية، والتفاوت الاقتصادي المتزايد، وكلاهما يخلق تحديات انتخابية للجمهوريين.((١٦))

لذلك إنَّ المعلومات الخاطئة قد تكون الفرق، بين البقاء في المنزل يوم الانتخابات، أو رفع لافته في مكان ما، أو الترويج لمرشح ما، أو التبرع بالأموال، والقلق الحقيقي للديمقراطيات هو الاستقطاب الواقعي، بمعنى أنَّ المواطنين المغررين، والمُضللين، يؤثرون بلا أدنى شكّ في الانتخابات، ويغيرون المسار العام للسياسات، وأنَّ المواطنين الذين لا تتوفر لديهم المعلومات، يميلون لمشاركة أقل، وهم مستقطبون أقل، في حين يشارك المواطنون، والناخبون المضللون، بوتيرة الملمين نفسها.((١٧))

ويرى (**K.White**) في بحثه «التضليل والمشاركة السياسية»، «أنَّ التعرض لكل من المعلومات المُضللة، والمعلومات السياسية، يميل إلى زيادة مستويات المشاركة السياسية للأفراد، تحديدًا المشاركة الانتخابية، وعندما يعرف الناس المزيد عن السياسة، فإنَّهم يعرفون المزيد من فرص المشاركة، ومن ثَمَّ يزيدون من حجم مشاركتهم. ومع ذلك فإنَّ التعرض للمعلومات المضللة، يؤدي إلى سلوكيات تختلف عن

---

(١٥) Jonathan Benson, op cit, p1726

(١٦) ibid.

(١٧) Kenneth Michael White et al, Information, Misinformation, and Political Participation, American review of political, volume,(27), 2006, p73

سلوكيات الآخرين المطلعين، أو غير المطلعين، حتى لو استند هؤلاء في معرفتهم السياسية، إلى معلومات مُضللة، فإنَّهم يشكلون تصورًا خاطئًا، واثقين من أنَّهم يعرفون أكثر من غيرهم، ويصبحون أكثر تحفيزاً لتصحيح معتقدات الآخرين الخاطئة، ودعم وجهات نظرهم، عن طريق المشاركة السياسية)."[١٨] وتبقى مسألة حجم المشاركة في الانتخابات، هي نتيجة عوامل عديدة منها ما يتعلق بأنظمة الانتخاب، وآلية الانتخاب، ومدى الثقة، والجدوى من الانتخابات، وكذلك عوامل أخرى تتعلق بحجم هيئة الناخبين، فكلما زادت زادت نسب المشاركة.

المطلب الثاني: أثر التضليل والاستقطاب السياسي في ثقة (قلق) الناخبين

مثلما ذكرنا أنَّ المواقع الاجتماعية، توفر معلومات مهمة للناخبين عن المرشحين، وبرامجهم الانتخابية، والتعرف على النظام الانتخابي، وآليات التصويت، ويساعد المرشحين على التواصل مع ناخبيهم، والتعريف بحملاتهم الانتخابية، وبرامجهم، بمعنى أنَّه يساعد في جعل الانتخابات أكثر دقة في العصر الرقمي، لكن في الوقت نفسه، يوفر كمًا هائلًا من المعلومات المُضللة، التي تدفع بالناخبين، أمَّا إلى العزوف عن المشاركة في الانتخابات، أو الانتخاب والاختيار على أسس خاطئة، أو تؤدي إلى المزيد من الاستقطاب السياسي.

كذلك استعمل الذكاء الاصطناعي على نطاق واسع في الحملات الانتخابية الأمريكية، عن طريق توجيه الرسائل للناخبين، واستغل بطريقه زادت من الاستقطاب السياسي، عبر إنتاج محتوى مضلل يحتوي على صور، ومقاطع فيديو، معدلة بشكل احترافي، كانت الغاية منها تعزيز المواقف للأحزاب السياسية، ومرشحيهم، بصورة مثالية أمام الناخبين (زيادة ثقة ناخبيهم)، وفي المقابل استخدمت لتشويه صورة المنافسين (زيادة قلق عدم الثقة لناخبي المعارضة)."[١٩] وبذلك استخدمها الرئيس الأمريكي (دونالد ترامب)، في انتخابات (٢٠١٦) في أغلب مناظراته، ومؤتمراته الصحفية، بقصد التأثير في الناخبين."[٢٠] وحتى قبل الانتخابات كانت تصريحاته شعبوية مُضللة إلى حدٍّ كبير، أو كاذبة ليس لها أساس من الصحة، مثل بناء الجدار على الحدود مع المكسيك.

وشهدت الولايات المتحدة الأمريكية في انتخابات (٢٠١٦)، كمًا هائلًا من المعلومات المُضللة، والأخبار الزائفة، التي تم تداولها بصورة واسعة على الوسائل الإلكترونية، وكذلك القنوات الفضائية الحزبية، كان لها الأثر في الحملات الانتخابية، وفي الناخبين الأمريكيين، ويشعر أغلبهم من قلق واسع على الديمقراطية، والبعض الآخر أصبح أكثر استقطاباً بسبب معلومات مضللة، والجزء الأخير من الناخبين غيَّر قناعاته، وصوَّت لصالح (ترامب)، بعد أن أكدت أغلب استطلاعات الرأي في الولايات المتحدة في تلك الفترة، أنَّ أغلبية الأصوات سوف تذهب لصالح المرشحة (هيلاري كلنتون). لكنَّ الواقع أثبت غير ذلك، وهنا يبرز دور المعلومات المُضللة في توجيه الناخبين. مثلاً قبل ثلاثة أشهر من الانتخابات الرئاسية، تمَّ

---

(١٨) ibid,p80-82

(١٩) اسراء عادل، انعدام الثقة: كيف يؤثر الذكاء الاصطناعي على نزاهة الانتخابات الأمريكية القادمة، شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) على الرابط الاتي: https//:shafcenter.org/

(٢٠)المصدر نفسه

نشر قصص مفبركة لصالح (ترامب)، تم داولها (٣٠) مليون مرة على الفيسبوك، في حين إنَّ القصص التي تؤيد (هيلاري كلنتون)، تمَّ تداولها (٧,٦) ملايين مرة.[٢١]

كما أنَّ شركة (كامبريدج أناليتيكا)، هي شركة استشارات سياسية مرتبطة بحملة (ترامب) الانتخابية، وتعرف نفسها على أنَّها (شركة تحليل بيانات)، جمعت بيانات من (٨٧) مليون مستخدم على فيسبوك، لتحديد توجهات الناخبين، والتأثير فيهم في الانتخابات[٢٢]، من دون علمهم، لتوظيفها في تصميم برامج، بإمكانها التنبؤ بتوجهات الناخبين، والتأثير فيها.[٢٣]

واستخدمت هذه البيانات لصياغة رسائل دعائية، لتحقيق أهداف سياسية، كزيادة التبرعات عبر الإنترنيت لتمويل الحملة الانتخابية، وحثّ الناخبين المترددين للتصويت لصالح مرشح الحزب الجمهوري، وعملت على تضليل الناخب الأمريكي، عن طريق بث أخبار زائفة، ومعدلة. مثلاً قامت الشركة بإرسال رسائل إلكترونية، إلى سكان حي في (ميامي) تسكنه أقلية (هياتية)، كان مضمونها عن إخفاق (مؤسسة كلنتون)، بشأن الزلزال الذي حلّ بهاييتي، وكانت الغاية هي حث الناخبين على عدم التصويت لـ (هيلاري كلنتون).[٢٤]

وهذا الأمر يضعف الثقة، والمصداقية، ويؤثر في خيارات الناخبين، وهذا ما حصل فعلاً بفعل المعلومات المُضللة، حول الأغلبية لصالح الحزب الجمهوري، بعد أن كانت لصالح الديمقراطيين. أضف إلى ذلك، أنَّ الإنترنيت بصورة عامة بدون معلومات مُضللة، يؤثر في توجهات الناخبين، والاستقطاب السياسي، وهذا ما عمل عليه (ترامب) في حملته الانتخابية، بعكس هيلاري كلنتون التي اعتمدت في حملتها الانتخابية، على الوسائل التقليدية، ووسائل الإعلام الحزبية. وعلى الرغم من استطلاعات الرأي في الولايات المتحدة، التي أثبتت أنَّ الإعلام الرقمي يملك تأثيرًا أقل، إلا أنَّ الواقع أثبت غير ذلك.

كما كان للعامل الخارجي دور كبير في نشر معلومات مضللة، والتأثير في الانتخابات الأمريكية عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ويتمثل هذا الدور بالدور الروسي، الذي شوَّه صورة المرشحة كلنتون، واتهمها بالفساد، واعتلال الصحة الجسدية، والعقلية، وعلاقاتها مع «التطرف الإسلامي». مما قاد الأمر إلى إجراء تحقيق، وكُلِّف به المستشار القانوني (مولر)، خلص إلى أنَّ التدخل الروسي أثَّر في الانتخابات الأمريكية عام (٢٠١٦). وحدث التأثير بطريقتين، الأولى: عن طريق وكالة أبحاث الإنترنيت الروسية (IRA)، على وسائل التواصل الاجتماعي، من أجل زيادة الانقسامات السياسية، والاجتماعية. والطريقة الثانية حصلت عن طريق القرصنة الإلكترونية، أو اختراق الحواسيب الخاصة بحملة هيلاري كلنتون الرئاسية، ونشر الرسائل الخاصة بها في وقت مؤثر.

---

(٢١) Hunt Allcott and Matthew Gentzkow, Social media and fake news in the 2016 Election, Journal of Economic perspectives ,Volume (31), number (2), 2017, p212

(٢٢) Fight Fake News, Mark Zuckerberg's Congressional Testimony: https://faculty.lsu.edu

(٢٣) Islam Mohamed Hegazy, The effect of political neuromarketing -election outcomes The case of Trump's presidential campaign 2016, ,Journal of Economics and Political Science ,Volume (6) , number (3) ,2021 ,p 236

(٢٤) فلاح خلف كاظم، ومها علي عبادي، أساليب التسويق السياسي وتوظيفها في الحملات الانتخابية حملة ترامب (٢٠١٦) أنموذجًا، المجلة السياسية والدولية، العدد (٤٩)، جامعة بغداد، (٢٠٢١)،ص ١٥٣-١٥٦

ويرى مولر في تقريره أنَّ هناك أدلة على وجود روابط بين الحكومة الروسية، وحملة (ترامب)، لكن اعترافات الأشخاص المرتبطين بالحملة، أعطوا اعترافات، وتصريحات، كاذبة أعاقت التحقيق، كما أنَّ التقرير لم يثبت أنَّ حملة (ترامب)، نسقت أو تآمرت مع الحكومة الروسية، في أنشطتها للتدخل في الانتخابات ، ولم توجه أي تهم حسب قوانين التآمر.((٢٥))

وخلال الانتخابات الرئاسية لعام (٢٠٢٠)، نشرت معلومات مضللة لإقناع الجمهور الأمريكي زورًا، بأنَّ بطاقات الاقتراع بالبريد ستؤدي إلى تزوير انتخابي هائل، وأكَّد (ترامب) في تلك الفترة في العديد من المناسبات، أنَّ الانتخابات سرقت منه، وأنَّ فوز الرئيس السابق (جو بايدن) كان غير شرعي، وكان هذا الاستقطاب للأمريكيين الذين انقلبوا ضد الأمريكيين الآخرين، ووصل الأمر في (٢٠٢١) إلى القيام بأعمال عنف نتيجة التضليل، وسار أنصار (ترامب) إلى مبنى (الكابيتول)، وقاموا بأعمال عنف قوية، وسرقة، والأهم من هذا هو منع أعضاء السلطة التشريعية (الكونجرس)، من التصديق على فوز (بايدن)، ولغرض صرف المسؤولية المترتبة عن هذه الأعمال، نشر أنصار (ترامب) الأخبار الزائفة، والأكاذيب، وأتهموا تنظيم أنتيفا (**Antifa**)، و(وكالة المخابرات المركزية CIA)، بالقيام بتلك الأعمال، في حين قام الإعلام الليبرالي بتصوير الحدث بشكل زائف، وهذا يعزز الاعتقاد بأنَّ النظام الأمريكي غير عادل، وأنَّ الإعلام متحيز.((٢٦))

ويعزز هذا الادعاء بمقطع فيديو مضلل، حاول الدمج عن طريقه بين معلومات صحيحة، وأخرى كاذبة، تضخم من التدخل الروسي بالانتخابات، وتعزز تورط الديمقراطيين بتزويرها، قاد الأمر بتضخيم عدم ثقة الناخبين بالعملية الانتخابية.

وجاء تقرير مجلس الاستخبارات الوطني (**NIC**) [٢٧]، حول التهديدات الخارجية لانتخابات (٢٠٢٠)، يؤكد في الحكم الأول منه، على أنَّه: «ليس لنا ما يؤشر إلى أنَّ أي جهة أجنبية، حاولت تغيير أي جانب فني في عملية التصويت بالانتخابات، بما في ذلك تسجيل الناخبين، أو الادلاء بأصواتهم، أو جدولة الأصوات، أو إعلان النتائج، وأنَّه من الصعب على أي جهة أجنبية، التلاعب بالعمليات الانتخابية على نطاق واسع من دون معرفتها، وأنَّ تضخيم دور إيران أو روسيا بالتدخل في الانتخابات، هو أمر مبالغ فيه، والغرض منه هو تقويض ثقة الجمهور بالعمليات الانتخابية، ونتائجها».((٢٨))

---

(٢٥) Robert S. Mueller, OP.cit

(٢٦) Flavia roscini. Op. cit.

(٢٧) تقرير أن أي سي (National Intelligence Council)، عادة ما يكون تقريرًا تحليليًا يتعلق بالتقديرات، والمخاطر الاستخباراتية، التي تواجه الولايات المتحدة، ويعتمد على معلومات واسعة، ويعكس الآراء المتراكمة من وكالات الاستخبارات المختلفة. ومن ثَمَّ، الفرق الأساسي يكمن في أنَّ تقرير مولر، يركز في تحقيق محدد يتعلق بحادثة معينة، في حين تقرير ان اي سي يركز في اتجاهات عامة، وتقديرات أمنية.

(٢٨) national Intelligence Council ,Foreign Threats to the 2020 US Federal Elections,2021,p1: www.dni.gov https://

إنَّ هذه الأعمال تقوّض ثقة الناخب الأمريكي، في نظامه السياسي، والانتخابي، وآليات التصويت، ونتائج الانتخابات، ويؤكد جزء كبير من طلاب الجامعات في أمريكا، أنَّ أصواتهم لا تغيّر من الواقع شيء، وجزء آخر يرى أنَّ تسويق التضليل، وانتشاره، يقوّض الثقة في عملية التصويت، ويقمع إقبال الناخبين على صناديق الاقتراع، ويبرز هذا الأمر بشكل واضح في ولاية مكسيكو. وصوتت لجنة المقاطعة بالإجماع، على عدم التصديق على نتائج انتخابات (٢٠٢٠) التمهيدية، بسبب مشكلات تتعلق في فرز أصوات الناخبين، وعلى الرغم من تدخل المحكمة في دفع عملية التصويت إلى الأمام، إلا أنَّ الضرر وقع بالفعل، وهو زعزعة ثقة الناخبين.[(٢٩)]

المطلب الثالث: أثر التضليل والاستقطاب السياسي في التراجع الديمقراطي

تعاني الديمقراطية العالمية من أزمة حقيقية بسبب الاستقطاب السياسي، لأنَّه يؤدي إلى أضرار متنوعة، وجسيمة على الديمقراطية، وهذه الأضرار هي انتشار المواجهة على حساب الاعتدال، والتعاون، وفشل الأداء بسبب التقلبات الجسيمة على السياسات، وترسيخ المواقف، والجمود السياسي، ومشكلات تشكيل التحالفات، وقلة الثقة بالمؤسسات العامة، والحكومة من جانب المواطنين، والثقة بين المواطنين، والرضا الديمقراطي، والدعم الديمقراطي، وشرعية الانتخابات، والشرعية الديمقراطية، وغيرها من الأضرار المنافية للسلوك الديمقراطي، التي تؤدي إلى «**التراجع الديمقراطي**»[(٣٠)]

يتفق الباحثون، والمختصون في العلوم السياسية، والسياسيون، أنَّ تأثير التضليل في الاستقطاب، يمثل ظاهرة مقلقة، وقد عكس هذا الاهتمام كليات العلوم السياسية، في الولايات المتحدة الأمريكية، والدول الأوربية. ويظهر مصطلح الاستقطاب حوالى (٢١٠) مرة، في تقرير الديمقراطية لعام (٢٠٢٢)، في صفحاته الستين القليلة، الصادر عن معهد أنواع الديمقراطية (**V-Dem**)، في جامعة (جوتنبرج) في السويد، وجاء فيه أنَّ الاستقطاب يمثل الطبيعة المرادفة لـ «**الاستبداد** «، ويبين أنَّ ديمقراطيات كبرى، مثل: البرازيل، والولايات المتحدة الأمريكية، شهدت تشكيك الرؤساء في نتائج الانتخابات، وأنَّ دولاً مثل: بولندا، وصربيا، وسلوفينيا، والمجر، هي الدول الأوربية الأكثر تراجعًا للديمقراطية[(٣١)]. ويستخدم علماء السياسة مجموعة متنوعة من المصطلحات، لوصف هذه الظاهرة، مثل: «التآكل الديمقراطي»، و»التراجع الديمقراطي»، و»الانحدار الديمقراطي»، و» الاستبداد»، وأي مصطلح كان من المصطلحات المستخدمة، فإنَّ له آثارًا في المجتمع بأكمله، وترتبط بتغيرات في المواقف، بما فيها تشوية سمعة أعضاء الحزب المعارض، ونشر المعلومات المظللة على نطاق واسع، وانحدار في المؤسسات غير الرسمية، مثل: وسائل الإعلام المستقل، ومؤسسات المجتمع المدني، والنظام الصحي، والتعليمي، وكل هذه الاعراض الدالة على التراجع الديمقراطي، موجودة في الولايات المتحدة الأمريكية.[(٣٢)]

---

(٢٩) New Mexico secretary of state sues county commission over refusal to certify primary results: https://edition.cnn.com

(٣٠) Andreas Schedler et al, Rethinking Political Polarization , Political Science Quarterly, Volume (138), Issue (3), Fall 2023, p338

(٣١) ibid

(٣٢) Vanessa Williamson, understanding democratic Decline in the United states, 2023:https//:www.brookings.edu/articles/understanding-democratic-decline-in-the-united-states/

بيَّن استطلاع للرأي أجرته قناة (NPR)، يعتقد بموجبه قرابة (٦٤٪) من الشعب الأمريكي، أنَّ الديمقراطية في الولايات المتحدة الأمريكية في أزمة، وأنَّها معرضة لخطر الفشل[٣٣]. كما وضَّح استبيان قامت به جامعة (كوينيبياك)، أنَّ (٧٦٪) من المستجيبين يعتقدون أنَّ عدم الاستقرار السياسي داخل البلاد، يشكّل خطرًا أعظم على الولايات المتحدة من الخصوم الخارجيين، وأنَّ (٥٣٪) يرون أنَّ الانقسامات السياسية في البلاد، تؤثر سلبًا في حياتهم.[٣٤]

إنَّ أحد أهم العوامل التي أسهمت في انخفاض الثقة في النظام السياسي، هو الانفجار الكبير في المعلومات المُضللة، التي تهدف عمدًا إلى تعطيل العملية الديمقراطية، وهذا ما يربك الناخبين، ويرهقهم، سواء كان الأمر في انتخابات (٢٠١٦)، أو في انتخابات عام (٢٠٢٠). كما كان للجهود السيبرانية الروسية، والجهات الفاعلة عبر الإنترنيت، من التأثير في تصورات الجمهور الأمريكي، التي سعت إلى تضخيم عدم ثقة الناخب الأمريكي في العمليات الانتخابية، عن طريق تشويه التصويت بالبريد، واتهام الحزب الديمقراطي بتزوير نتائج الانتخابات، وما عزز هذا الامر هو عدم اعتراف الرئيس (ترامب)، بنتائج الانتخابات (٢٠٢٠)، أو قوله: «إنَّها سرقت منه»، وما رافقها من أعمال عنف والتي وضحناها سابقًا، كان لها الأثر الأكبر في زعزعة ثقة الناخبين بالانتخابات، وفي المؤسسات، والنظام الديمقراطي بصورة عامة.[٣٥]

إنَّ المعلومات المُضللة التي تدفع باتجاه تبني مواقف أكثر استقطاباً، تهدد القيم الديمقراطية، وتسهم في عدم الاستقرار السياسي، وزيادة في الانقسامات الاجتماعية، وتتجلى في انقسام المجتمع الأمريكي سياسيًا، كما أنَّ الحزبية المتطرفة، تفسد قدرة الناخبين على تقييم القضايا السياسية بموضوعية، وتسهم في تعزيز الفجوات بين الأفراد، وتزيد من حدة الصراعات السياسية، وتحد من التعاون بين مختلف الفئات السياسية.

نتيجة لما تمَّ تناوله، وبيان أثره، وتأثيراته، تعتزم الولايات المتحدة الأمريكية مواجهة هاتين الظاهرتين، كونهما تؤثران في النظام الديمقراطي، وتهددان ثقة الناخبين بالعمليات السياسية، وتزيدان من الانقسامات الاجتماعية، مما شكَّل ويشكّل عائقًا في صنع القرارات السياسية المتوازنة، والعقلانية، واتخاذها، وكان أول إجراء هو طرح فكرة إصلاح النظام الانتخابي (التصويت للمجمع الانتخابي)، الذي يضع الناخبين، والمرشحين، تحت ضغط شديد في الحملات الانتخابية، إلى نظام التصويت التفضيلي (**Ranked-Choice Voting**)، الذي يتيح للناخبين ترتيب أسماء المرشحين حسب تفضيلاتهم، مما يسهم في تقليل الاستقطاب السياسي، والتشجيع على المرشحين المعتدلين. هي مجرد فكره.

---

(٣٣) NPR-Ipsos, 6 in 10 Americans say U.S. democracy is in crisis as the 'Big Lie' takes root: https://www.npr.org

(٣٤) Political Instability Not U.S. Adversaries, Seen As Bigger Threat, Quinnipiac University National Poll Finds; Nearly 6 In 10 Think Nation's Democracy Is In Danger Of Collapse: https://poll .qu.edu/poll-release?releaseid=3831

(٣٥) Gabriel R. Sanchez and Keesha Middlemass, Misinformation is eroding the public's confidence in democracy: https://www.brookings.edu

كذلك الحد من المال السياسي المفرط، الذي يُعَدّ محركًا من محركات الاستقطاب السياسي، المستخدم في تمويل الحملات الانتخابية، عبر استثمار قرار المحكمة العليا عام (٢٠١٠) في قضية (**Citizens Unit-ed**). كما يجب أن تتضمن الحملات الانتخابية الافصاح عن مصادر التمويل.

كما طرح في عام (٢٠٢٠) بعض النواب، قوانين تهدف إلى إجبار وسائل التواصل الاجتماعي، اتخاذ تدابير صارمة بشأن المعلومات المضللة، والكشف عن المصادر الممولة للمحتوى السياسي، والتأكد من عدم نشر معلومات غير دقيقة بشأن العمليات الانتخابية. ويبدو أنَّ السلطتين التشريعية، والتنفيذية، مهتمة جدًا بمسألة نشر الأخبار، والمعلومات، على هذه المواقع، وتجبرها على تحمل مسؤوليتها في حال نشر معلومات مضللة، وكذلك التحقق من المعلومات المنشورة، والحقائق (**Fact-Checking**). وتعوّل الولايات المتحدة الأمريكية على تقنيات الذكاء الاصطناعي، لمعرفة الأخبار الزائفة، ومكافحتها، بشكل سريع، ودقيق، وأجبرت الوسائل الاجتماعية باستخدام الخوارزميات للكشف عن المحتوى المضلل.

ومن الاجراءات المهمة التي اتبعت في الولايات المتحدة الأمريكية، هي تعزيز التعليم الإعلامي في المدارس، الذي يهدف إلى تعليم الصغار التمييز بين المعلومات الصحيحة، والمُضللة، ودمجتها في المنهاج المدرسي كخطط مستقبلية، والاعتماد على نشر التوعية المجتمعية، عبر مؤسسات المجتمع المدني.

كما تقوم المنتديات السياسية بدور كبير في سبيل تقارب وجهات النظر بين الحزبين، عبر تشجيع الحوارات عن القضايا الرئيسة المختلف عليها، في سبيل الوصول إلى حالة من التجانس. وفي سبيل مواجهة هاتين الظاهرتين، يتطلب الأمر تظافر جهود المؤسسات الرسمية، وشركات التقانة الحديثة، ووسائل الإعلام، والمجتمع المدني، والمواطن الواعي، وفي تقديرنا تفوق الولايات المتحدة الأمريكية، الكثير من البلدان المتقدمة بهذا الجانب.

الخاتمة والاستنتاجات

يُعَدّ المجتمع الأمريكي من المجتمعات التي ينشط فيها الاستقطاب السياسي، منذ عقود من الزمان، وهو بوتيرة متصاعدة بفعل النظام الحزبي القائم على الثنائية الحزبية، لكن الاستقطاب السياسي تطور في الوقت الحاضر بشكل كبير، حتى شكَّل ظاهرة أمريكية بفعل تزايد الاعتماد على الإعلام الرقمي، كمصدر رئيس للمعلومات. وتضليل هذه المعلومات زاد من تناميها، وحدتها، لاسيَّما بعد الانتخابات الرئاسية في (٢٠١٦)، وكذلك عدم الاعتراف بنتائج الانتخابات الرئاسية في (٢٠٢٠)، وما رافقها من أعمال عنف عُدَّت سابقة خطيرة في الولايات المتحدة الأمريكية، ومؤشرًا واضحًا على التراجع الديمقراطي.

إنَّ الأخبار الكاذبة، والدعاية المُضللة، على وسائل التواصل الاجتماعي، تؤثر في تزايد الانقسامات السياسية، كما تؤثر في ثقة الناخبين في العمليات الانتخابية، كما أنَّها تؤثر في وجهات نظرهم، وخياراتهم، لاسيَّما الولايات المتأرجحة، التي تؤدي دورًا كبيرًا في حسم نتائج الانتخابات.

أي إنَّها تؤثر في فاعلية المشاركة السياسية، وتحولها إلى مشاركات مُعَبِّئة، ومُستَقطِبة. وهذه كلها بلا أدنى شك تنعكس على الديمقراطية، التي هي السمة الرئيسة للنظام السياسي الأمريكي. ونتيجة لذلك، إنَّ

التراجع الديمقراطي، أو التآكل الديمقراطي في أمريكا، يرجع إلى سببين أساسيين: الأول منهما مؤسساتي. أمَّا الثاني فهو يتعلق بانتشار المعلومات المضللة، التي أسهمت في زيادة الاستقطاب السياسي.

الاستنتاجات

١- تسهم المعلومات المُضللة، والأخبار الكاذبة، في تعميق الاستقطاب السياسي، وزيادة الانقسامات، وظهر هذا واضحًا في الولايات المتحدة الأمريكية، لاسيَّما خلال العقدين الأخيرين، التي أسهمت بشكل كبير في تعزيز الآراء المسبقة لدى الجماهير.

٢- تسهم مواقع التواصل الاجتماعي في تفاقم انتشار المعلومات المضللة، وزيادة حدة الاستقطاب في الولايات المتحدة، سواء عن طريق الصحفيين عبر تغطيتهم للأحداث السياسية، بطريقة أكثر استقطابًا، أو عن طريق الخوارزميات، والروبوتات، التي تمارس دورًا في نشر المعلومات المضللة.

٣- تعمل غرف الصدى على خلق بيئة مغلقة، ويتعرض الأفراد عن طريقها إلى معلومات تعزز آرائهم، وأفكارهم المتماثلة، وينتهون ببناء وجهات نظر، ومواقف مستقطبة، أكثر انسجامًا، وأكثر تطرفًا.

٤- يتم توظيف التضليل لخلق الانقسام بين الناخبين، ويتم استغلال المعلومات، والعواطف، لتوجيه الجمهور نحو مواقف معينة، بغض النظر عن الحقائق.

٥- أسهم النظام الحزبي، ووسائل الإعلام التقليدية المرتبطة به، في الولايات المتحدة الأمريكية، في تنامي ظاهرة الاستقطاب السياسي، لاسيَّما في الحملات الانتخابية الرئاسية، وطرح القضايا العامة.

٦- تآكل الثقة في المؤسسات الحكومية، عندما يتم نشر معلومات مضللة عن مواضيع حساسة، يزيد الشك بمصداقية هذه المؤسسات، ويصبح الأفراد أكثر انغلاقاً على آرائهم، ومواقفهم.

٧- قلق المواطنين المستقطبين، وغير المستقطبين، من النظام الانتخابي، وعدم ثقتهم، نتيجة انتشار المعلومات المُضللة التي أثرت في خياراتهم، وأثرت في حجم المشاركة السياسية، وفاعليتها، في الولايات المتحدة الأمريكية.

٨- تدهور الثقة بالمؤسسات العامة الأمريكية، والنظام الانتخابي، يعني تراجع الديمقراطية الأمريكية، من النوع الكامل إلى النوع المعيب.

٩- ما تبذله الحكومات على اختلافها، ومنها الحكومة الأمريكية، في مواجهة التحديات الإلكترونية، لا يتناسب مع تطورها، كونها تعتمد على الابتكار، واستمرارها بنشر معلومات زائفة، يعني المزيد من الاستقطاب، والانقسام.

المصادر

أولاً- المصادر العربية

١- التضليل في وسائل التواصل الاجتماعي، سلسلة تقارير أسبار (١٢٩)، الصادر عن ملتقى أسبار، الإمارات العربية المتحدة، (٢٠٢٤).

٢- جلال الشافعي، التضليل الإعلامي، دار البشير للطباعة والنشر، الأردن، (٢٠٠٥).

٣- فرانسو جيرية، قاموس التضليل الإعلامي، دار نشر ارمان ، باريس، (٢٠١١).

٤- فلاح خلف كاظم، ومها علي عبادي، أساليب التسويق السياسي وتوظيفها في الحملات الانتخابية حملة ترامب ٢٠١٦ أنموذجًا، المجلة السياسية والدولية، العدد (٤٩)، جامعة بغداد، (٢٠٢١).

٥- محمد نبيل محمود عثمان، الدعاية والتضليل الإعلامي في الأفلام الأمريكية، جامعة البتراء، (٢٠١٥).

٦- محمود رمضان أحمد عبد اللطيف، الاستقطاب السياسي في مواقع التواصل الاجتماعي ودوره في تشكيل اتجاهات الجمهور المصري، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد (٦٩)، (٢٠١٩).

ثانياً- المصادر الأجنبية

1- Andreas Schedler et al, Rethinking Political Polarization , Political Science Quarterly, Volume (138), Issue (3), Fall 2023.

2- Christopher A. Bail, et al.: Exposure to opposing views on social media can increase political polarization, PNAS. Volume(115), number (37), 2018.

3- Delia Bladassarri and Andrew Gelman, Partisans without Constraint: Political Polarization and Trends in American Public Opinion, The American Journal of Sociology, AJS. 2008.

4- European Commission, Communication from the Commission to the European Parliament, the Council, the European Economic and Social Committee and the Committee of the Regions , 2018.

5- Frances E. Lee, How Party Polarization Affects Governance, Annual Review of political Science, volume (18), 2015.

-6 Hunt Allcott and Matthew Gentzkow, Social media and fake news in the 2016 Election, Journal of Economic perspectives ,Volume (31), number (2), 2017.

7- Islam Mohamed Hegazy, The effect of political neuromarketing -election outcomes The case of Trump's presidential campaign 2016, ,Journal of Economics and Political Science ,Volume (6) , number (3) ,2021.

8- Jonathan Benson, Democracy and the Epistemic problems of political polarization, American Political Science Review, volume (118), Issue (4), 2024.

9- Joshua A. et al, Social Media, Political Polarization, and Political Disinformation: A Review of the Scientific Literature, Hewlett Foundation, 2018.

10- Kenneth Michael White et al, Information, Misinformation, and Political Participation, American review of political, volume,(27), 2006.

11- Marina Azzimonti and Marcos Fernandes, Social media networks, fake news, and polarization, European Journal of Economy, volume(76), January 2023.

12- Rune Karlsen et al, "Echo Chamber and trench warfare dynamics in debates," European Journal of Communication, volume, (32), number,(3), 2017.

13- Thomas Carothers Andrew O'Donohue, Democracies Divided, The Global Challenge of Political Polarization, Brookings Institution Press, Washington, D.C, 2019.

14- Yemilia Palonen, Political Polarization and Populism in Contemporary hungry, Parliamentary Affairs, volume 62) number, (2), 2009.

ثالثاً- الانترنيت

1_ إسراء عادل، انعدام الثقة: كيف يؤثر الذكاء الاصطناعي على نزاهة الانتخابات الأمريكية القادمة، شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) على الرابط الآتي: https://:org.shafcenter/

2- North Atlantic Treaty Organization (NATOS), approach to countering disinformation: a focus on COVID-19. https://www.nato.int/cps

3- Facebook submission to UN Special Rapporteur on Freedom of Opinion and Expression for Report on Disinformation:

https://digitallibrary.un.org/search?f1=author&as=1&sf=title&so=a&rm=&m1=e&p1=UN.+Human+Rights+Council.+Special+Rapporteur+on+the+Promotion+and+Protection+of+the+Right+to+Freedom+of+Opinion+and+Expression&ln=ar

4- Pew research center, Political Polarization:

https://www.pewresearch.org/topic/politics-policy/political-parties-polarization/political-polarization

- Steven McMullen, Why we are polarized:5

https//:reformedjournal.com/2021/04/28/why-were-polarized/

- Jesse Shapiro, U.S. is polarizing faster than other democracies, study finds:6

https//:www.brown.edu

7- Marina Azzimonti and Marcos Fernandes, Social media networks, fake news, and polarization, European Jounrnal of Economy, volume 76, January 2023: https://www.sciencedirect.com

8- Robert S. Mueller, "Report on the investigation into Russian interference in the 2016 presidential election," US Department of Justice, March 2019:

: https://www.justice.gov/storage/report.pdf

9- Flavia roscini, . How The American Media Landscape is polarizing the country, the pardee Atlas Journal of Global Affairs. https://sites.bu.edu/pardeeatlas

- Chrysalis Wright, How Fake News Affects U.S. Elections: 10

https://www.ucf.edu/

- Fight Fake News, Mark Zuckerberg's Congressional Testimony:11

https//:faculty.lsu.edu

12- national Intelligence Council ,Foreign Threats to the 2020 US Federal Elections,2021: https://www.dni.gov

13- New Mexico secretary of state sues county commission over refusal to certify primary results: https://edition.cnn.com

14- Vanessa Williamson, understanding democratic Decline in the United states, 2023: https://www.brookings.edu/articles/understanding-democratic-decline-in-the-united-states/

15- NPR-Ipsos, 6 in 10 Americans say U.S. democracy is in crisis as the 'Big Lie' takes root: https://www.npr.org

16- Political Instability Not U.S. Adversaries, Seen As Bigger Threat, Quinnipiac University National Poll Finds; Nearly 6 In 10 Think Nation's Democracy Is In Danger Of Collapse:

https://poll.qu.edu/poll-release?releaseid=3831

17- Gabriel R. Sanchez and Keesha Middlemass, Misinformation is eroding the public's : confidence in democracy: https://www.brookings.edu